مجلة الرائد

العدد : ٢٣٤ الموافق في ذو الحجة ١٤٢٢ هجري ٢٠٠٢/٣ ميلادي

عنوان المقال : المؤسسات الإسلامية في الغرب والتواصل مع المجتمعات في الغرب –٣–	الكاتب : د. نديم عطا إلياس

١ـ من أهداف التواصل :

① من أجل البيان والتعريف :

ـ القيام بواجب الدعوة والتعريف بالإسلام على مستوى مؤسسات المجتمع وإدارات الدولة .

ـ التعريف الواقعي العملي بالمؤسسات الإسلامية والعاملين .

ـ التعريف المباشر بمواقف المؤسسات الإسلامية من الأحداث الاجتماعية والسياسية وتصحيح ما يلحق بها من تشويه .

ـ التعريف بمواقف المؤسسات الإسلامية في الغرب من الأحداث في العالم الإسلامي ، وتصحيح الصورة تجاهها .

② من أجل المصلحة الإسلامية :

ـ تكوين شبكة العلاقات العامة وصفوف الأنصار والمؤيدين (اللوبي) .

ـ طرح مطالب الجالية المسلمة وإيجاد التفهم لقضاياها .

ـ كسب تعاون المؤسسات والهيئات الأخرى ضمن فعاليات مشتركة تخدم قضايا الجالية المسلمة .

③ من أجل خير المجتمع :

ـ التعرف على مواقف مؤسسات المجتمع وإدارات الدولة من الأحداث الاجتماعية والإسلامية .

ـ محاولة التأثير الإيجابي على مواقف الآخرين لخدمة مصلحة الجالية المسلمة ومصلحة المجتمع .

ـ دمج إمكانات الجالية المسلمة ومؤسساتها ضمن الفعاليات الاجتماعية العامة لإحداث ما يمكن من إصلاح وتحسين .

وإذا أردنا أن نبلور الأهداف الاستراتيجية للتواصل ـ من بين الأهداف المفصلة أعلاه ، ومن بين الأهداف العامة للمؤسسات الإسلامية ـ فهي تتركز في هدفين رئيسين هما :

❖ **إيجاد شبكة العلاقات وصف المناصرين للقضايا الإسلامية (اللوبي) .**

❖ **إيجاد فرص التعاون المتبادل في نطاق الفعاليات الإسلامية والاجتماعية .**

وسيؤدي التواصل إلى تحقيق بقية الأهداف المذكورة تلقائياً بإذن اللّه ، وإن كنا قد صدّرنا قائمة الأهداف بهدف الدعوة - لشرفها ومكانتها - إلا أن تحقيقها من خلال التواصل هو هدف ثانوي ، وللمؤسسات الإسلامية من الوسائل الأخرى ما يتصدر الدعوة قائمة أولياتها .

٢- صف المناصرين :

من أهم جوانب الدعوة إلى اللّه مخاطبة وجوه المجتمع وعليته ، وتركيز العلاقة بهم ومخاطبتهم بالأسلوب اللائق المناسب لهم ، وقد كان رسول اللّه ﷺ يخص سادة القوم وشيوخ قبائلهم بدعوته لتعريفهم بدين اللّه وطلباً لنصرتهم ودرءاً لعدائهم ، ولا يزال الخطاب الإسلامي في الغرب عاجزاً عن القيام بهذا الدور لندرة الكفايات البشرية الفكرية وقلة الإمكانات المؤسسية والمالية ، أو لانعدام المبادرة وعدم إدراك الأهمية والأولوية .

وبإمكان المؤسسات الإسلامية من خلال التواصل إيجاد صف من المناصرين والمؤيدين لقضايا الإسلام ، وقد أعد المجلس الأعلى للمسلمين مشروعاً لتكوين ما يسمى بـ (اللوبي الإسلامي) [1] . ينتقى فيه عدد من الأشخاص من أهم شرائح المجتمع الألماني ذات التأثير التشريعي والقضائي والسياسي والتنفيذي ، وذات الفعالية الفكرية والتربوية ، وذات النفوذ الإعلامي والاقتصادي والمالي ، ويتم تزويدهم بالحد الأدنى من المعلومات حول الإسلام وأطروحاته الحضارية ، ثم يتم التركيز على المهتمين منهم والمتجاوبين مع قضايا الإسلام ، ليتوصل من خلال ذلك إلى تكوين صف المناصرين على المدى المناسب بإذن اللّه ، ويمكن تحديد أهداف المشروع فيما يأتي :

■ الدعوة الموجهة الانتقائية إلى اللّه عزَّ وجلَّ ، وذلك من خلال توعية النخبة المؤثرة في المجتمع الألماني بمبادئ الإسلام وتعريفها بقضايا المسلمين .

■ تخفيف حدة العداء ضد الإسلام ودرء الضرر عنه في مرحلة ما قبل اتخاذ القرار ، وذلك من خلال كسب المؤيدين له والمتعاطفين معه .

■ توجيه الموقف السياسي والشعبي لمصلحة الإسلام في مرحلة اتخاذ القرار ، وذلك من خلال كسب المناصرين .

٣- الفعاليات المشتركة :

يوجد التواصل فرص مشاركة المؤسسات الإسلامية في الفعاليات المشتركة مع المؤسسات الاجتماعية الأخرى والهيئات الحكومية ، ويمكّن المسلمين من كسب تلك الجهات للمشاركة في فعاليات المؤسسات الإسلامية .

وقد أصبحت الفعاليات والمبادرات المشتركة أسلوباً سائداً في الغرب من أجل تحريك المجتمع وكسب اهتمامه لقضية من القضايا التي تشكل قاسماً مشتركاً من أهداف الجهات المشاركة ، وتعبر المشاركة في مثل هذه الفعاليات عن مساندة الجهات المشاركة لتلك القضية ، كما يؤدي تضافر جهود الأجهزة الإدارية للجهات المشاركة والقواعد التابعة لها إلى مضاعفة النتائج الإيجابية وشمولها لأكبر عدد ممكن من شرائح المجتمع . ولا تعطي مبادرة جهة ما إلى إقامة فعالية مشتركة الحق لتلك الجهة في الهيمنة على الفعالية أو الانفراد بقرار شامل دون الآخرين .

مثال ذلك دعوة وزارة الخارجية الألمانية إلى تكوين " مجلس متابعة فعاليات سنة الاتحاد الأوروبي لمكافحة العنصرية " الذي شارك فيه أكثر من خمسين جهة ، منها اتحاد النقابات الألمانية والكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية والمجلس الأعلى لليهود في ألمانيا وعدد من الوزارات الألمانية وعشرات الهيئات والمبادرات الشعبية ، حيث بقي اتخاذ أي قرار في المجلس منوطاً بموافقة المشتركين عليه [٢] .

وكذلك الفعالية التي دعى إليها رئيس وزراء مقاطعة شمال الراين " اتحاد التسامح والمناصرة " .

ولا يعني العمل ضمن فعالية مشتركة عجز جهة بمفردها عن إقامة تلك الفعالية أو تطابق آراء الجهات المشتركة وتطابق أهدافها ووسائلها .

مثال ذلك : الفعالية التي دعى إليها مجلس الكنائس الألمانية والذي يمثل حوالي خمسين مليون شخص تحت اسم " أسبوع التبادل الحضاري " وذلك سنوياً منذ ٢٥ عاماً ، والذي يشترك فيه اتحاد النقابات الألمانية والمجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا وعشر مؤسسات شعبية أخرى .

وبقدر ما يتيح التواصل فرص المشاركة في الفعاليات الاجتماعية والإفادة من إيجابياتها ، بقدر ما

يسيء غياب المسلمين عن بعضها إلى سمعتهم ويفسر بعجزهم أو إغفالهم لأهمية الموضوع أو مخالفتهم له .

٤- حدود وضوابط :

يؤدي التواصل مع المجتمع الغربي تلقائياً إلى الاحتكاك بأنماط مختلفة من التفكير ومقاييس متباينة في وزن الأمور وإطار مغاير لإطارنا الإسلامي المحدد للحلال والحرام ، والمعروف والمنكر ، واللائق وغير اللائق ، وهذا يشكل تحدياً فكرياً وواقعياً للمؤسسات الإسلامية المقيمة في الغرب ، ويطرح يومياً على العاملين في مجال التواصل مسائل متجددة وأسئلة متكررة في شتى الجوانب ، ومعظم هذه المسائل ما لم يتبين حله أو حرمته فتطيب النفس باتباع هدي الشرع فيه ، فهي إما أمور محدثة مستجدة لم يسبق فيها قول ، أو أمور سبق القول في شبيه لها في عصر يختلف عن عصرنا وظروف تختلف عن ظروفنا ، أو هي أمور لا تخلو ممارستها من مساوئ وأضرار ينبغي تقدير حجمها ومقارنتها بما قد تعود به من فوائد أو ما قد يُدفع بها من مساوئ أكبر وأضرار أشد ، ولا تخفى هنا ضرورة إعمال الاجتهاد الشرعي المعاصر في هذه المسائل واشتغال مجالس الفقه في العالم الإسلامي وفي المغترب بها .

ونسوق أمثلة لبعض هذه المسائل التي تشغل كثيراً من العامة والعاملين ، وإن كان رأيُنا قد استقر واتضح تجاه كثير منها :

- الولاء تجاه الدولة الغربية وتجاه دستورها .
- التجنس والمواطنة .
- المشاركة في المجالس البلدية والبرلمانية .
- المشاركة في الحكم وتولي القضاء .
- العمل في السلك الدبلوماسي والعسكري .
- تحالف المؤسسات الإسلامية مع الأحزاب والمؤسسات .
- دور المرأة المسلمة في الحياة العامة .
- دور المرأة المسلمة في النشاط الإسلامي .

- الاختلاط والخلوة والسفر والإقامة المنفردة .
- الحوار والتنسيق والتعاون مع المؤسسات النصرانية في الغرب .
- الحوار والتنسيق والتعاون مع المؤسسات اليهودية في الغرب .
- دخول الكنائس والمعابد ، والصلاة فيها .
- دخول غير المسلمين المساجد .
- المشاركة في احتفالات من أجل السلام ، تلقى فيها نصوص دينية .
- تهنئة غير المسلمين بأعيادهم .
- عيادة مرضاهم .
- إتباع جنائزهم ، وتعزيتهم ، ودخول مقابرهم .

وليست القاعدة في إيجاد الحلول والأجوبة في هذا المضمار " الغاية تبرر الوسيلة " فإن اللّه طيب لا يقبل إلا طيباً ، وهو لا يقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم وصواباً وفق شرعه القويم . فالضابط هو الاجتهاد الشرعي الذي ينبغي أن يراعي ظروف الزمان والمكان ، وأن يوازن بين المصالح والمفاسد ، والذي يجب أن يجمع بين العلم بالشرع والمعرفة للواقع والإدراك للحاجات .

٥- المسلمون فاعلون لا منفعلون :

من الضوابط العملية التي يجب مراعاتها أن يتم التواصل وفق مخطط مرحلي يحدد الأوليات بناء على معرفة الحاجات والإمكانات ، وسوف يواجه العمل الإسلامي إذا سار في طريق التواصل سيلاً من الفعاليات والبرامج واللقاءات التي يدعى إليها من قبل الآخرين ، ولا شك أن الآخرين ينطلقون في ذلك من مخططاتهم ومصالحهم وأولياتهم ، ونظراً لقلة الجهود والطاقات والإمكانات فلا بد من الحذر من بعثرتها بشكل منفعل يتجاوب مع كل ما يعرض عليه ، ولا بد من تخير الأولى فالأولى والأجدى فالأجدى من ضمن ما هو مقبول شرعاً .

رابعاً : في الوسائل والبرامج

لا يمكن حصر وسائل التواصل المتاحة اليوم والممكنة غداً ، وكثير من وسائل اليوم هي وسائل تخدم عدة أهداف في آن واحد ، كالتربية والدعوة والتواصل وغير ذلك ، ووسائل اليوم هي وليدة حاجات وانعكاسات لظروف الزمان والمكان ، وما صلح منها اليوم قد لا يصلح غداً ، وما كان نافعاً هنا ربما كان ضاراً هناك ، وما كان ملائماً في بيئة قد يكون نابياً في بيئة أخرى ، وسنسوق طائفة من الوسائل - غير التقليدية - ونعرّف ببعض الوسائل النموذجية بشيء من التفصيل .

١- من الوسائل التواصل :

① **وسائل التواصل والدعوة :**

- أيام الباب المفتوح .
- أسبوع الإسلام (أسابيع ثقافية في المدن والجامعات) .
- فعالية " ادع جارك " .
- الدعوة الانتقائية .

② **وسائل للتواصل والحوار :**

- المائدة المستديرة لحوار الأديان (تجمع بصفة دورية ممثلي الطوائف الدينية) .
- الحوار الثنائي .
- المشاركة في مؤتمرات الطوائف الأخرى ، ودعوتهم لمؤتمراتنا .

③ **التواصل من خلال الإعلام :**

- مواقع للمؤسسات الإسلامية في الإنترنت [٣] .
- بيانات دورية صحفية .
- " مسلمو ألمانيا " فيلم تلفزيوني [٤] .
- فعالية إصلاح الإعلام .

④ **وسائل للتواصل الحضاري :**

- معرض الحضارة الإسلامية [٥] .
- فعالية " أسبوع التبادل الحضاري " .
- فعاليات مشتركة من أجل البيئة والصحة وحماية الحيوان .

⑤ **وسائل للتواصل السياسي :**

- المشاركة في المجالس الوطنية لمكافحة التعصب والعنف .
- الحوار مع الأحزاب .
- الحوار مع اللجان البرلمانية .
- مناقشة مشروعات القوانين وتقويمها إسلامياً .

٢- " يوم المسجد المفتوح " :

يدعو المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا في مبادرة منذ ١٩٩٧م جميع المساجد في ألمانيا إلى فتح أبوابها في يوم الوحدة الألمانية في ٣ تشرين أول/أكتوبر من كل عام تحت اسم " يوم المسجد المفتوح " ، وشكل المجلس لجنة متخصصة لإعداد هذه الفعاليات وتحضير الإعلانات والبرامج ودورات التأهيل للأئمة وإعداد المطبوعات اللازمة لذلك من منشورات ولوحات وبيانات وكتيبات إرشادية ومطويات تعريفية بالإسلام ، وقد استقطبت هذه الفعالية عام ٢٠٠١م على سبيل المثال حوالي (٢٠٠) ألف زائر من غير المسلمين في المساجد المشاركة التي وصل عددها إلى حوالي (١٢٠٠) مسجد . وأقيم يوم المسجد المفتوح هذا العام تحت شعار " المسلمون - لا عصبية ولا عرقية " . وشارك في حفل الافتتاح ممثلو الحكومة الاتحادية والصحافة والطوائف الدينية الأخرى وذلك في أحد المساجد بمدينة دارمشتات ، وأصبحت فعالية " يوم المسجد المفتوح " أكبر فعالية ضمن الفعاليات المشتركة " أسبوع التبادل الحضاري " الذي تشارك فيه (١٥) مؤسسة اجتماعية أخرى .

٣- " المائدة المستديرة للأديان " :

يلتقي ممثلو الطوائف الدينية بصفة دورية ثلاث مرات كل عام على المستوى الاتحادي في هذه المبادرة التي شارك في الدعوة إليها المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا ، وأصدر المشاركون في

المائدة خطاباً موحداً لأتباع أديانهم يؤكدون فيه مواقف أديانهم من التسامح والرحمة ، ونبذ العنف والتطرف ، والعمل من أجل حصول الأقليات الدينية على حقوقها في ألمانيا ، وستقوم المائدة بفعالية مشتركة بمناسبة " سنة الأمم المتحدة للتبادل الحضاري " كما أعدت المائدة ورقة عمل مشتركة لتجنب الأزمات بين أبناء الأديان في ألمانيا ، والتغلب داخل ألمانيا على آثار ما يحدث من أزمات دولية ، ويقوم ممثلو الإسلام في المائدة بالإضافة إلى ذلك ببلورة جهود الطوائف الأخرى لمناصرة قضايا التعليم الإسلامي والذبح الشرعي وحجاب المرأة .

٤- " جناح الإسلام " :

قام المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا بتنظيم " جناح الإسلام " في المعرض العالمي أكسبو ٢٠٠٠ في هانوفر . وبلغ عدد زوار الجناح حوالي مليون شخص كان معظمهم (٨٥%) من غير المسلمين ، تعرفوا أثناء فترة انعقاد المعرض الذي استمر ١٥٣ يوماً على أصول الإسلام وحضارته من خلال أقسام المعرض المختلفة التي عالجت موضوعات " الخلق والخالق " ، " ومضات العبادة " ومعارض الفن التشكيلي الإسلامي الحديث ، كما أقيم برنامج ثقافي مواز احتوى على (١٤٠) فقرة مختلفة ، واستقبل الجناح أكثر من (١٥٠) زائراً من كبار الشخصيات من العالم الإسلامي والغربي وحوالي (٢٠٠٠) صحفياً من أنحاء العالم ، وتم توزيع أكثر من ستة أطنان من المطبوعات الإسلامية ، وآلاف النسخ من ترجمات معاني القرآن الكريم المهداة من مجمع الملك فهد بالمدينة النبوية ، و (٦٠) ألف نسخة من مطوية " ما هو الإسلام " و (٤٠) ألف نسخة من مطوية " أسماء اللّه الحسنى " .

وشارك في إنجاح هذا المشروع التاريخي جميع المؤسسات الإسلامية في ألمانيا وهيئات شعبية وحكومية من (٢٨) دولة إسلامية كان في مقدمتها " مؤسسة الأمير سلطان الخيرية " الراعي الرئيسي للمشروع ، ووزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ووزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية .

خامساً : خـــاتمـــــة

إن واجب الدعوة إلى اللّه عزَّ وجلَّ واجب عظيم ، وهو في المحيط الذي تعيش فيه الأقليات والجاليات الإسلامية في الغرب جهاد أيما جهاد ، والعاملون في الغرب في أمسّ الحاجة إلى الصبر والمصابرة والمرابطة ليتمكنوا من القيام بواجب هذه الدعوة ، ومن مجرد استعراض جانب واحد من جوانب الدعوة ، ألا وهو التواصل مع المجتمع ، تبين لنا حجم المهام والمسؤوليات الواقعة على عاتق هذه القلة المرابطة في هذا الثغر البعيد .

لذا فكم نحن في حاجة إلى ترابط الصف الإسلامي في الغرب ولحمته ، ولا يعني ذلك بالضرورة توحيد المؤسسات الإسلامية تنظيمياً وتذويب أجهزتها ، بل لا بد من المحافظة على تنوعها التخصصي واللغوي والفكري ، مع دعوتها إلى تعميق الصلة فيما بينها وتشكيل مجالس عليا في كل قطر أوروبي وربط المجالس المتعددة في أوروبا في مجلس تعاون وتنسيق أوروبي ؛ وذلك لتتمكن المؤسسات الإسلامية في كل قطر وفي أوروبا من التعامل مع محيطها بالأسلوب المناسب للطبيعة الأوروبية ، ولتتمكن من التعبير عن قضايا المسلمين ومطالبهم بصفة موحدة رسمية تخولها من التعاون والاتفاق مع المؤسسات المكافئة محلياً وأوروبياً .

والمسلمون في الغرب في هذا الثغر النائي هم جزء من جسم الأمة الإسلامية المترامي الأطراف ، وهم عضو غض فاعل ، وهم يشكلون أملاً مشرِّفاً للأمة الإسلامية ؛ فمن مصلحة الأمة ومن مصلحة كل دولة أن تعمل على المحافظة على كيان مسلمي الغرب كجزء مستقل قائم بذاته ، وأن تعمل على تقويته ودعم قضاياه مادياً وعلمياً وأدبياً ، وأن تستفيد من هذا الكيان كجسر حضاري ينقل الخير في الاتجاهين على حدٍ سواء ، فيكمل بذلك دور الأعضاء الأخرى في هذا الجسد الحبيب .

*** نعتذر لانقطاع متابعة هذا الموضوع في العدد الماضي ، فيرجى الانتباه .**

الهوامش

(١) أعد هذا المشروع عام ١٩٩٩م وتم إنجاز بعض عناصره ، وتحتاج العناصر الأخرى إلى الدعم المالي لتنفيذها .

(٢) شارك المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا في هذه الفعالية عام ١٩٩٩م التي انبثق عنها لاحقاً فعالية دائمة باسم " الساحة الاتحادية لمكافحة العنصرية " وفعالية " الشبكة الشعبية لمكافحة العنصرية " .

(٣) موقع Islam.de يستخدمه شهرياً أكثر من (٦٠٠) ألف مستخدم .

(٤) سيقوم بإنتاجه المجلس الأعلى بالتعاون مع التلفزيون الألماني .

(٥) انبثق عن " جناح الإسلام " وسيجوب العواصم الأوروبية بإذن اللّه .